

التفسير المختصر - سورة القصص (٢٨) - الدرس (٣-١٨) : تفسير الآيات ٧-٩ ، وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ..  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٨-٣٠

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، وصلنا في قصة سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام مع فرعون وملاه إلى قول الله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)﴾

[ سورة القصص ]

أمرها تعالى بأمرين ونهاها عن شيئين وبشرها ببشارتين، ثم قال الله عز وجل:

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)﴾

[ سورة القصص ]

ولا يُعقل في المنطق البشري أن يلتقط إنسان غلاماً ليكون له عدواً وحزناً، ولكن الذي حصل أن هذا الغلام الذي التقط، والذي ربّيه في قصر فرعون حينما كبر، وجاءته الرسالة ودعا فرعون إلى أن يخضع إلى أمر الله عز وجل، فلما أبى والقصة معروفة لديكم ؛ أتبعه فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم، وانتهى فرعون، لذلك قال علماء النحو هذا اللام هي لام المال، قال تعالى

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)﴾

[ سورة القصص ]

يُستنبط من هذه الآية أن الإنسان مهما كان ذكياً، ومهما كان قوياً فإن الله تعالى كما قال:

﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ (١١)﴾

[ سورة الرعد ]

وإذا أراد ربك إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لب لبه، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢)﴾

[ سورة الأعراف ]

فإنه عز وجل إذا أراد ربك إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لب لبه، ثم نفذ الأمر، فإنه تعالى لا ينفذ معه الذكاء والعقل والكياسة، ولا أن تسد الغلطات وتغطي الاحتمالات، لا ينفذك مع الله إلا أن تطيعه ولا تتجور من عقابه إلا بالإقبال عليه.

فرعون وما أدراك ما فرعون؛ قوة وجبروت وسيطرة وإدعاء الألوهية، ومع ذلك طفل صغير التقط ورباه في قصره لتكون نهاية ملكه على يدي هذا الطفل الصغير، قال تعالى:

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)﴾

[سورة القصص]

وهذا هو معنى قول الله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوبًا (١٧)﴾

[سورة الطارق]

فإنه ليس كائداً ولكن يراد على تدبير الكفار بتدبير محكم ينفذ المؤمنين ثم قال تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)﴾

[سورة القصص]

لماذا ذكر الله فرعون مع هامان؟ ومع هامان الجنود؟ لأنه من أعان ظالماً كان شريكه في الإثم، ومن أعان ظالماً سلطه الله عليه، ومن أعان ظالماً ولو بشرط كلمة جاء يوم القيامة مكتوب على جبينه: آيس من رحمة الله! فلا تعن ظالماً ولو بهز رأس، ولا بتقديم قلم للتوقيع ولا بابتسامته، ولا بإقرار ولا بموافقة، وإلا كنت أحد ضحاياه، قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

العقاب (٢)﴾

[سورة المائدة]

يريد هذا الظالم أن ينفذ أمراً مجحفاً بحق بريء، فإذا قال لك: ما رأيك؟! فهزرت رأسك كنت ممن أعان على الظلم، من أعان ظالماً سلطه الله عليه، ومن أعان ظالماً ولو بشرط كلمة جاء يوم القيامة مكتوب على جبينه: آيس من رحمة الله! لذلك ورد في هذه القصص كثيراً قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)﴾

[سورة القصص]

لأن هامان والجنود نالهم من فرعون الشيء الكثير، والغرم بالغرم فحينما يحاسب فرعون فينبغي أن يحاسب من أعانه على الظلم ومن كان عوناً له على السيطرة.

قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَكِدًا وَهُمْ لَنَا

يَشْعُرُونَ (٩)﴾

[سورة القصص]

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ عَفَانُ فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ إِنَّكَ تَكْثُرُ أَنْ تَقُولَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ قَالَ وَمَا يُؤْمِنُنِي وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعِي الرَّحْمَنِ إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلْبَهُ قَالَ عَفَانُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ))

[رواه أحمد]

فقد يُقَي في قلب هذا الإنسان الحبَّ لفلان، وقد يُقَي البغض، والقسوة فقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقَلِّبها كيف يشاء، أنت إذا وقفت أمام إنسان قوي ورأيت أنه قسى عليه فلأن الله جعل قلبه هكذا، وإذا رأيت أنه رَحِمَكَ ألقى في قلبه حبك والعطف عليك فعلاقتك مع الله، وهذا هو التوحيد، قال تعالى:

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِي (٥٥)﴾

[سورة هود]

الأفوياء ينبغي أن لا تخاف منهم، والخوف من الذي بيده زمامهم ؛ هو الله، قال تعالى:

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾

[سورة هود]

لذا ورد أن لا يخافن العبد إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربه، فلا تخف قويا ولا تخف مرضا، ولا تخف مصيبة، إنما خف من ذنب يستدعي كل ذلك قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)﴾

[سورة النحل]

فإذا وقعت في مشكلة فلا ترجون إلا الله، فلا ترجو أن تراح عنك هذه المصيبة بالمال، ولا بفلان ولا بعلان، ولا بمكانتك وسطوتك، لا يخافن العبد إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربه، امرأة فرعون قد يسأل بعضكم ؛ ما الحكمة في أن تكون صديقة ؟

عن أبي موسى رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿كَمَلٌ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرِيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ

فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ﴾

[رواه البخاري]

ما الحكمة في أن تكون هذه الصديقة تحت ظالم ؟ أراد الله عز وجل أن يبين للناس فضلا عن تقريره المباشر، أراد أن يبين من خلال الحوادث أن المرأة مستقلة في إيمانها، وفي مسؤوليتها، وفي دينها عن زوجها، فأية امرأة تقول: هكذا يريد زوجي، ولو كان زوجها أحد جبابرة الأرض، ومع ذلك لا يستطيع أن يحملها على الكفر، وهذا درس من أبلغ الدروس، الله عز وجل جعل تحت

أكبر طاعة في الأرض صديقة، بكل جبروته وسطوته لم يستطع أن يحملها على الكفر، قال تعالى:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) ﴾

[ سورة التحريم ]

لذلك هذه القصة لكل امرأة، فلا تقل: هكذا يريد زوجي، وأنا لا أدخل لي، فمهما كان زوجك طاعة فلن يبلغ طغيان فرعون، ومع ذلك المرأة مستقلة في إيمانها وطاعتها في مسؤوليتها عن زوجها، اتصلت بي امرأة وقالت لي: زوجي يريد أن يأخذني إلى البحر وأن أسبح أمام زملائه، وهددني إن لم أفعل فسيطلقني ! فقلت لها: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وليطلقك!! لكنه لم يطلقها، إنما استعمل معها أسلوب التخويف، ماذا قال سحره فرعون ؟ قال تعالى:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) ﴾

[ سورة الأعراف ]

أم سيدنا سعد ابن أبي وقاص قالت له: يا بني، إما أن تكفر بمحمد، وإما أن أدع الطعام والشراب حتى أموت ! قال: يا أمي، لو أن لك مائة نفس فخرجت واحدة واحدة ما كفرت بمحمد فكلي إن شئت أو لا تأكلي، فالإنسان لين إلى أقصى المواقف، ولكن هناك مواقف إن لم يكن صلباً ينتهي والمؤمن عنده كلمة ؛ لا يقولها بملء فيه، لا أفعل هذا، هذا لا يرضاه الله، فهناك من عنده حياة شيطاني، يستحي فإذا به يأكل الحرام، ويستحي فإذا به يعصي الله، ويستحي فيقر بالمعصية، يجب أن تقول كلمة بملء فمك أحياناً، وليكن ما يكن خاطبوا أحد جبابرة الأرض، وخاطبوا إنساناً يقتل العباد كما يقتل الذباب ! قال تعالى:

﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) ﴾

[ سورة طه ]

أيها الإخوة، يجب أن نعلم جميعاً أن هذه القصص، والله الذي لا إله إلا هو ما أرادها الله تعالى قصصاً أبداً، ولكن حقائق على شكل قصص، لذلك قال تعالى:

﴿ وَقَالَتِ امْرَأةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكِ لَا تُقْتَلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَكْدًا وَهُمْ لَنَا بِشْعُرُونَ (٩) ﴾

[ سورة القصص ]

من ألقى حُب موسى في قلب امرأة فرعون ؟ الله جل جلاله، وفي المرة القادمة نتابع هذه القصة.

## والحمد لله رب العالمين